هوامش



على تغريبة القمر العائد

شعر

أيمن اللبدي



© حقوق النشر الإلكتروني محفوظة ل

www.nashiri.net

© حقوق الملكية الفكرية محفوظة للكاتب

نشر إلكترونيا في أكتوبر 2003

لوحة الغلاف الفنان التشكيلي مازن عوكل

المحتويات

الإهداء
تمهيد
المقدمة

1-تركتكَ أمس
2-الرَّجفة
3-فواصل على مطر الفصول
4-أساطير وأعياد على صدر الوطن
5-بين المطالع
6-طريق الشهداء
7-الرهان على القمر الغائب
8-سيعود المغترب
9-زغاريد ملتهبة
10-المسار
11-حدّ الانتفاء
12-وطني هناك – مسيرتان وفوهة في الطريق إلى الوطن
13-في بلادي يزرعون الفجر أخضر
14-الأمس الجديد
15-ترانيم موسمية
16-طيف الاقتراب
17-قصيدة السؤال
18-متوحِّداً بالفلِّ عاد
19-هوامش على تغريبة القمر العائد
20-الوصول رقم 1
21-الحبر الفلسطيني
22-أيها الصبّارُ لا
23-البحر يرحل
السيرة الذاتية للكاتب

الإهداء

إلى الماء ْ
إلى التراب ْ
إلى الحرف ْ
إليه ْ .....

أيمن اللبدي
1993

تمهيد

عشرون قلادة أو تزيد أقدِّمها في هذه المجموعة مختارةً من المساحات الرَّحبة والعناقيد الحبيبة...
علَّها تكون سنبلة أملٍ في طريق المسيرة ْ
علَّها تكون ومضة فرحٍ في فضاء اللغة المحاصرة ْ
علَّها تكون تحية صباحٍ للوطن المقاتل ْ
علَّها تكون بسمةً في درب العودة ْ
علَّها تغرِّدُ لفلسطين الولادة والمصير ْ

فهل تراني بلغت ؟

أيمن اللبدي
1993

المقدمة

عجيب وغريب ... لماذا اليوم ؟
تواريخ متعدِّدة ...1993 ثم 1996 ثم 2003 ؟ ما الحكاية ؟
وقبلَ أن يذهب الظنُّ بعيداً سأجيب ْ...
هي مجموعة شعرية أنجزت في العام 1993 واكتملَ عقدها في ذات العام ، كانت نحو عشرين قصيدة تضمُّها دفتا المخطوط الذي تقدمنا به في خطوة طلب الفسح من إحدى وزارات الإعلام العربية كيما ندفع بها إلى الطباعة تالياً ، وعلى أمل الحصول على هذا الفسح بأسرع مما سمح خيالنا أن نجد فترة الزمن ستطول أمامه عبر أي ّمعوقات في الطريق متوقعة ومحتملة ولكن ْ....
كانت التجربة ، فبرغم كون معظم قصائد هذه المجموعة قد نشرت سابقا في صحافة الوطن المحتل وبعضها خارجه أيضاً في زمن ما فلقد احتاجت فيما يبدو للمراجعة ولم يعفها خروجها يوما على صدر صحيفة هنا أو هناك من الخضوع لاجتهادات الاعتراضات الرقابية من جديد ، وجدت نفسي إزاء طلب تغيير كلمات في بعض القصائد شرطا مسبقا للحصول على هذا الإذن أو العودة دون إكمال هذه التجربة أصلا ، والاعتراضات كانت من السذاجة بمكان بحيث ترك في نفسي تساؤلات حقيقية حول سؤال خطير مؤداه هل يفهم هذا الرقيب النص أم أنه يعامله معاملة إشارات التلغراف بحيث يقف أتوماتيكيا كعدّاد ٍ نبيه آلي مبرمج أمام كلمات بعينها ليشير بضرورة التغيير مع أنها خارج السياق ليست ذات معنى كما تقول العربية وأصولها ؟
الحقيقة أن التجربة قالت هذه المرة أنه كذلك فعلاً وأنَّ الأمر يتوقف على اتخاذ قرار ، وكان أن ألغيت الطباعة واحتفظت بالملاحظات على المخطوط وهي تطلب تحويل كلمات من نوع قنديل غرام إلى شيء آخر ، وخبز عشاق وخمر إلى خبز شيء آخر ، ونقيم نشيدنا إلى إقامة موقوفة على شيء لا يستوعب سواه وهكذا كان فتوقفت هذه المجموعة عام 1993.
بعد ثلاث سنوات بالتمام والكمال تجدَّدت المحاولة وهذه المرة في رواق وزارة إعلام أخرى وموقع آخر بعد أن أضيفت لها قصائد أخرى وفي مقدمتها الحبر الفلسطيني والتي كانت عقب مرحلة بعينها هي مرحلة أوسلو ، هذه المرة كانت شهادة الولادة بحاجة لاغتيال هذه القصائد الجديدة كي تصدر ومن جديد بقيت دون شهادة ميلاد وفي مخطوطها الجديد لأن الرقابة على الكلمات عدّاً في نهاية الأمر تظلُّ أهون من الرقابة على النصِّ فكرةً وأفقاً وكلاهما في نهاية الأمر

حجارة تسدُّ طريق الحريَّة والفضاء الأرضي الذي أيضا حسم المسألة في العام 1996 مع عدم شهيّة للمحاولة من جديد .
عندما أتيح للتقنية أن تنقلنا خارج عدّاد الكلمات الآلي قبل نحو بضع سنين أمكن لنا أن نخرج عبر فضاء الشبكة خارج إطار هذا الحصار العدّادي ، كما أمكن لنا أن نقفز عن عدّاد الممكن والمطلوب وغير المحبَّذ في الصورة والنص ، ونشرنا قصائد هذه المجموعة ذاتها بما لحق بها من قصائد من جديد في موقعنا الشخصي ثم عمدنا إلى جمعها من جديد لتخرج مجموعة مكتملة على هذا النحو الذي سيقدمه لقارئها موقع ناشري ، في الحقيقة أيتها الشبكة شكراً ولا عزاء للعدّادات القابعة في وزارات الإعلام العربية ، لم يعد يهمنا كثيراً ما ستسمح به طالما أنَّ فضاء السماء مفتوح .
كانت القصائد تسير بموازاة مرحلة ما جزء منها في داخل الوطن وجزء آخر خارجه وبالذات مع تلك السنين التي شهدت مرحلة أسلو وما تلاها ، لقد حملت أملاً عريضاً ليس بما حاولت أن تقوله هذه الافتتاحية ولكن بما أصرَّ النصُّ والشعب الذي يحاوله هذا النصّ أن يقول كلمته الأخيرة وهي التي انفجرت تالياً حينما لم يستمع لها من توجَّب استماعه في المجموعة الثالثة " انتفاضيات ".
في بعض قصائد هذه المجموعة بواقي مرحلة الخروج الكبير والدخول الصغير وفي بعض قصائد هذه المجموعة الحلم المتّقد والألم المدفوع ، ولكن ما لم يكن في قصائد هذه المجموعة أبداً أيُّ نوع من يأسٍ أو فقدان البوصلة ، أتذكَّرُ اللحظة التي واكبت رحيل بحر كبير في البحر يرحل ووصول فوج صغير في الوصول رقم 1 ويبقى القمر الذي نصرُّ على عودته في سماء خيمته المنتشرة دوماً متأهبا للوصول وقادراً على اختراق الأبعاد وتحويلها إلى رقمه الصعب ووجوده الخلّاق .
لا تحاسبوا قمرنا كم دورةٍ يدور ولا تحاسبوه على الهامش الضيِّق الذي تركوه له ولا تحاسبوه على رحلته والتغريبة التي أجبر عليها قسراً ولكن حاسبوه فقط لو أطفأ سراجه وهو ما ولم ولن يحدث أبدا فقمرنا ما زال عاشقا وما زال مصرّاً على العودة .....

أيمن اللبدي
2003

تركتكَ أمس .....

ضبابَ الحزنْ
كتبتُ إليكَ مرثيَّة ْ
لعينٍ تعشقُ الآهاتِ والترحالْ
لنَفْسٍ هدَّها التّحنانْ
كفاكَ الآن ْ
فلن تسألْ.... عن الأسماءِ والألحانْ
ولن تسرحْ
بذهنٍ شاردِ الأوتارْ
كتبتُ إليكَ مرثيَّة ْ
فأيُّ حروفها يلقاكْ ؟
كأنَّكَ مِثلَ جمرِ النارِ تشتعلُ
مدى الآمالْ
لقيتُكَ أمسْ
تركتُكَ أمسْ
فهل يُعقَلْ
أ حقاً غابت الشمسُ وفرقدُها ؟!
أ حقاً غابت الظبيانُ وارتحلتْ ؟!
و كيفَ تموتُ سنبلةٌ بغيرِ أوانْ ؟
تجفُ جداولٌ وسيولْ
كأنَّ عقاربَ الساعاتِ ما دارتْ
وصار الغدُّ أوَّلَ أمسْ
ولكن ما تبقّى غيرُ قرطاسٍ ومسألةٍ تريدُ الحلّْ
تضيعُ شوارعُ البلدة ْ
يظلُّ الدمعُ بنزفها
وساحاتٌ وكرّاسٌ ولوحُ الدرسْ
وأصحابٌ وطلابٌ تجيءُ الغدّْ
فكيف سنكتبُ الماضي ؟!
نحلُّ اللغزَ لكن دونَ أن نفهمْ
وأين يكون عنوانُكْ ؟
سيغلقُ بعد حينٍ جسرُ أحزانِكْ

فلا تغضبْ
ولَنْ تغضبْ
لأنكَ عائِدٌ يوماً
مع الأقلام والدفترْ .....

طولكرم
من 1986

الرجفةْ ...

كتبتُ إليكْ
وعدّبني فِراقُ النارِ في شفتيكْ
ولونُ الحزنِ في جسدي ، يصيرُ الخبزَ في عينيكْ
إليكَ ... إليكْ
وصوتُ الجرحِ بينَ يديكْ
يُلوِّنُ وجههُ بالغارْ
ويقرأُ صورةً مِن نارْ
ويكتبُنا وفوقَ شهيدهِ عَلماً وكوفيَّةْ
حننتُ إليكْ
كأنَّ شوارعَ الأشجانِ في بدني
كأنَّ النارَ تعصُرني
وتحرقُ في ليالي الوَجدِ أهدابي
وتشعلني فتيلاً يعشقُ الألوانَ تشعلني
ويغمرُ عمرهُ بالشوقْ
يصيُر العهدُ أحجيةً
يصيرُ العمرُ ألحاناً ومعزوفةْ
وتمتلئ العيونُ الخضرُ بالشومرْ
ولوزِ البيدرِ الأخضرْ
وَ نَوّارٍ مِن الضحكاتْ
وتكبرُ موجةُ البُشرى
ويُزرعُ في بطونِ المجدِ أغنيةً وأُنشودةْ
لتقرأ نورَها الزهراتْ
حننتُ إليكْ
وهذي أوَّلُ القطراتِ تكتبني
وتجمعُ مع أغاني العشقِ ذاكرتي
وتنثرُ خطوةَ الأطفالْ
وتحملُ شعلةَ الفرسانْ
وتحملني ،
إليكَ أعودْ

إليكَ أجيءُ يا وطني
إليكَ أجيءْ.....

الرياض
من 1988

فواصل على مطر الفصولْ.....

1- مطرٌ غجريٌ اللونِ يغيِّرُ صمتَ الأشياءْ
ويدقُّ ترابَ النشوةْ
يتلاقى مع همسِ الرهبةْ
ويرتِّلُ ترنيمةَ حزنٍ همجيةْ
تنسكبُ على روعِ الوجدانْ
فتهزُّ الأركانَ وتسموْ
في لوحةِ عشقٍ أزليةْ
تستلبُ اللبَّ على خفيةْ
مطرٌ آخرُ.....

مطرٌ يبدأُ من رحمِ الأرضْ
مطرٌ يصعدُ لا يهبطْ
يبدأُ من زمنٍ متجدِّدْ
ويظلُّ.....يظلُّ يُقيمُ هنا
يرحلُ معَ كلِّ مواسمِنا
لا يعرفُ خارطةً ومناخاً ومدارْ
يبدأُ ويعودْ
في كلِّ جديدٍ نترقبْ
مطرٌ آخرُ....

مطرٌ عابقُ
فيهِ الأسماءْ
مطرٌ لعروسِ الميناءِ
للثغرِ الأخضرِ والشفتينْ
للشعرِ المنسكبِ جداولْ
للخدِّ المنطلقِ جواداً
للرمشِ القاتلِ والعينينْ

مطرٌ آخرْ....

مطرٌ في عين ِالمقتول ِشهيداً
في ومضة ِعشق ٍأزليِّ النكهة ْ
في حجم ِ رصيف ٍمختبئ بينَ أزقَّة
مطرٌ في لون ِعذابات ِالأطفال ْ
في حجم ِ بطولات ِالأشجار ْ
في عزم ِ الثكلى وأيامى السنة ِالمرهونة.....
2- تبتلع ُالسفن ُ شراع َ الوجدِ
وتكّسرُ أمواج َ الغابة ْ
فالريح ُ ستبدأ بالذوبانْ
والغيم ُ حمامٌ زاجل ْ
يقتحم ُ الجسرَ على قدميه ِ
يخاطبُ كلَّ القمح ِ بلا عنوانْ
ويسلِّم ُ رايتَهُ البيضاءَ ويسجد ْ
تختلط ُالراية ُ في جسد ٍ سحريّ
تتلونُ مثلَ شعاع ِ الأمل ِالمختلط ِ بحاجزْ
وهناكَ يغرِّد ُ في الباحة ِ بلبل ْ
وتضوع ُ من الورد ِالأنفاس ْ
نسغٌ من روح ٍ أخرى
تتفتح ُ مع زهر ِ البيدرْ
تنثر أشجاراً / في غير ِ تداعٍ تَصْلَبُّ على العمق ِ وتقوى
ويكون ُالموسم ُ آذار ونيسان ْ
لكنَّ المطرَ يظلُّ الشمس َ
يشتَّد ُ بعزم ِ الشهداءِ ويمضي بحرا،
يتسع ُ مع َ الرَّحْب ِ الأولْ ...
3- قافلةٌ تمضي فوقَ رمال ِ العمرْ
وعلى موجة ِأول ِ ذكرى
تخترق ُ الموت َ
وريح َ الخوف ِ يُبَدِّدُها / الفارس ُ
وخريف ُ الرحلة ْ
يختنق ُ الوجع ُ بحلق ِ الحقل ْ

تسقطُ أسمالُ الجوعْ
لكنَّ العظمَ يظلُّ اللغزَ
ويجئُ الوقتُ / ..... يجئُ الوقتْ
في عصرٍ تحترقُ اللوحاتُ
وتصيرُ حقولُ النورِ خطوطَ النارْ
وتجفُّ عيونُ الماءْ
تتبخرُ كلُّ شموعِ الليلْ
تنفجرُ وترتعشُ القبلاتْ
فهنا دربُ الناطورِ
وهنا متحفُ كسرى
وهنا حفلُ الأشلاءْ
ويكونُ مدارَ الوقتِ دموعا
(ويظلُّ الرقصُ الأفريقيُّ أبا الرومبا)
كرنفالُ
وحرُّ الصيفْ
لكنْ ما أعجبَ موعدَنا
ما أعجبَ قبتنا الزرقاءَ
يفترشُ المطرُ مساحتها
مطرٌ آخرْ
يندفعُ إلى شوطٍ آخرْ
كمْ يتدفقُ
كمْ يترفقُ
ينشرُ قبلتَهُ فوقَ النَّحرْ
مطرٌ و عجبْ ؟!
وجعٌ في قاعِ مفاتنها
يندثرُ الحزنُ على الكفينْ
ينقلبُ إلى لونٍ آخرَ
والخصبُ يخِّضبُ مفرقَها
والبذرةُ شقَّتْ تربتها
واللحنُ عجيبْ
مطرٌ من نوعٍ لم تعرفهُ
يتحددُ في الأنثى الأولى

في امرأةٍ زقَّت عند الفجرِ بيادقَها
بطلاً....بطلا
ينقشعُ الوهمْ
ويظلُّ النجمُ يدللُها
مطرُ الألفينْ
وسنابلُ تمتلئيُ كثيراً
ولآلئُ في صدرِ الأنثى
شقَّتها من كلِّ الأجزاءْ
تبتسمُ من الفرحِ الحاضرْ
عشقتهُ الأرضْ
مطرٌ غجريٌّ اللونِ يغيرُ صمتَ الأشياءِ
مطرٌ غجريٌّ اللونْ
مطرٌ أزليٌّ اللونْ .....

أساطيرْ وأعيادْ على صدرِ الوطنْ .....

1- تحكي جداتُ بلادي
في ليلةِ سمرٍ تأتى بعد سنينْ
تروي قصصَ بطولاتٍ كانتْ
وحكايا
عن ظلمِ السجانينْ
عن قسوةِ قضبانِ الفولاذْ
وعتمةِ جدرانِ الإسفلتْ
ونارِ البردِ وحرِّ البردْ
ومعاركِ أمعاءٍ ودموعْ
ودماءِ الزنزانةِ / لكنْ
عن وقفةِ أبطالٍ تحكي أيضاً
تحكي عن مجدِ حضارةْ
فهنا ذكرى وقفةْ
وهنا ألمُ الصبّارْ
وهناكَ رحيقُ الغاباتِ الأبديةِ يسمو
ينتشرُ بحجمِ الرهبةْ...ويجدَّدُ في الذهنِ خطوطَ العشقْ.....

صورةْ

يخرجُ بطلُ الميدانْ
هو فارسُ غضبٍ فضمَّ الأرضْ
قبّلَ بطنَ الأرضِ وغنّى
وانطلقَ على ظهرِ جوادٍ مسحورْ
دارَ بأفقِ الشمسْ
وزَّع كسرةَ خبزٍ بينَ عيونِ الفقراءْ
وتأوهَ بعد صلاةِ الفجرْ
عاد إلينا مثلَ شعاعٍ بريٍّ جامحْ
عاد حنيناً مختبئاً فينا
عاد يدغدغُ لعقَ الجرحْ
ويصبُّ على أيدي الأطفالِ الماءْ
قد صامَ طويلاً فوقَ الرملْ

وتناثر َفوق َمساحات ِالتوقيتْ
لكنّ هلالَ العيد ِعلى موعدْ
والموكب ُيشتعلُ حنيناً ونجوماً أخرى
ما عاد الصبرُ يضمِّدُنا
ما عاد الوجد ُيدفئنا
والبحر يودِّعُ أمواجَه ْ.....والرحلة ُتنتظر ُالإعلانْ.....

2- كلُّ الألوان تعاتُبنا
ومنازلُ ليلى وسليْمى ومضاربُ عبس ْ
ومقاهي شارع ِعتمتنا الأبديِّ
والشعر ُالمذبوح ُعلى باب الشعراءْ
كلُّ الأسماءْ
لكن َّالأرقامَ تؤلِّفُ لغةً أخرى للرقمِ الصعبْ
للحب ِّالصعبْ
تكتبُ في العشق ِقصائدْ
تختلفُ عن الغزلِ كثيراً
وتربّي بين ثناياها لغة ًأخرى
يا للأحلامْ ! ماذا يمكنها أن تَكْتبْ ؟
في موسم ِعيد ِالتسبيحاتْ
ما أحوجنا لمواقيتِ التكبيْر
قد ظل َّالنجم ُالعالي قبل َاليوم ِوحيداً
لكنَّ اليومَ ترافقه آلاف ُالنجماتْ
ومساحات ُالشرف ِكبيرة ْ .....

3- يا هذا القابعُ فوق َضلوع ِالقلب ِمتين ٌ أنتْ
يا هذا النجمْ
ستحدِّثُ جدات ُبلادي عنك َالاحفادْ
وتلّونُ باسمك َشجر َالزيتون ِالأخضرْ
والسرو ِالعالي
وتجمّعُ باسمك َغصن َالغارْ

وتاجَ النصرْ
في موسمَ يجتمعُ الأطفالُ إلى "كانون "ِشباطْ
في موسمَ يجتمعُ القمحُ إلى منجلِ حصّادْ
في يومِ اللوزِ/ الأخضرُ يُشرقْ
وندسُّ الجسدَ على المذبحْ
لكنَّ الروحَ نخيطُ بها علماً يمتشقُ الريحْ
وينادي
يا وجعاً ما عاد يناديْ !
نجعلهُ الرَّهبةَ والرغبةْ
نجعلهُ الرّايةَ والموسمْ
نجعلهُ الآيةْ
فتعالَ إلينا منسوجاً
وتعالَ إلى ذاكَ الموعدْ

واكتُبْنا صفحةَ مجدٍ في وجهِ التاريخْ
تَنشُرْنا بين ضلوعِ العيدِ على صدرِ فلسطينْ.....

مهداة
إلى الأسير البطل أبو سكَّر وكل أسرى الحرية
من1989

بين المطالع .....

البداية

للمدارات ِ شجونْ
للمحارات ِالهموم ُالأبدية ْ
للقمرْ
للسنابل ِو السواحل ِو السفنْ
للقوافي ؛ للمطَرْ
للموانئ ِو المعابرْ
للمحابرْ
للمقابرْ
للحصارْ
للبيادر ِفي حقول ِالشمس ِحلمٌ مشتركْ
كلها لحن ُالتوحُّد ِو الأماني ِّالحبيبة ْ
و المسافات ُعيون ْ.....

في المنازل ِو المطالعْ
تُثْقِل ُالخطوات ُذاك َالمنحنى
إنه ُالمشوار ُو القصص ُالعجيبة ْ
إنه النزف ُالنزيفْ
إنه الجرح ُالمكابرْ
إنها لحظ ُالصبايا و العيون ُالعسلية ْ
ووصايا البندقية
و الحجارة ُ/و الهوية
آه من [ريتا] ومن سلمى وخيول ِالهمجية ْ

الانتقال

حينما تكبر ُفيَّ حبات ُالحنينْ
ثم تنضج ُفي عيون ِالراحلينْ

حينما تنمو على الجرحِ المغادرِ سِنبلةْ
تصبحُ اللغةُ الرهانْ
وأكتشفْ
يصبحُ الحبرُ المعابدْ
والمفاتيحُ الكبيرةْ
والقصائدْ
والوسائدْ
والمراصدْ
إنها الكأسُ الحلالْ
والهوى يغدو نسيجاً مختلفْ
والسنونْ ؛ ما عساها قد تكونْ ؟!
والجبينْ
والوتينْ
عند سيدةِ اللغاتِ التاجَ قد أذنت لهُ
ثم نامَ على الأكفِّ الصولجانْ
بين عينيها العوالي واليمانْ
إنه زمنُ التَّعَوُّدِ لا التواعدْ
فاكتبي ما شئتِ من قصصِ المهلهلِ سِندبادْ
واغسلي الإثمَ الحرامْ
اكتبي ما شئتِ لكنْ
لا تقولي إنها اللغةُ الحيادْ.....

القياس

يصبحُ الشوقُ المكانْ
يصبحُ الأملُ الزمانْ
تصبحُ الأحلامُ أستاذَ الجهاتْ
وبوصلةْ
ساحةُ الفنجانِ حارةْ
وامتدادْ
جغرافيا.... وخارطة
فليكنْ
إنما طعمُ الوجعْ؟!
ماذا يكونْ ؟!
أ....يكونُ تُاريخاً وفنْ؟1
أ....يكونُ نبراسَ الحضارةِ ؟!
أو منارةْ !
هكذا نحنُ اللقاءْ
انه الأشياءُ والعنوانُ فيكْ.....
حينما الذهنُ الهدفْ
كلُّنا في الوجدِ شرقُ
كلُّنا في الهمِّ غربُ
ونَتَّجِهْ
بحراً ونهرا، غوراً وسهلاً ثمَّ ليموناً وزعترْ
ثمَّ زيتوناً وشومرْ
ثمَّ لوزاً ثمَّ بيدرْ
كلُّنا الكلُّ الغريبْ/ كلُّنا كافٌ ونونْ.....

الريح

أيهذا المشتعلْ
أيهذا الواقفُ المشدودُ بين الانتفاءِ والارتقاءْ
خلِّ عنك الاحتقانْ
خلفَ مفرقِ شعركَ احترقتْ شراعٌ ومراكبْ
واعتلى الصخراتِ يخطبُ طارقٌ ابنُ زيادْ
ما العملْ؟!
إنما أنتَ الحصارْ
إنما أنتَ السلاسلُ والزردْ
والمقالعُ والمطالعُ والكمائنْ
فانتبهْ
وامتشقْ نصلاً على القلبِ المجلَّلِ بالبردَْ
والمعلَّقِ بالوجعْ
ليس يقلقنا الأوانْ
ليس يُغتالُ الأوانْ
ليس يَغتالُ المرايا الاغترابْ
والأملْ
انه لا بد آتٍ
إنها الأسوارُ تُحبسُ ظلَّها
وهو قد شدَّ الرحالْ
فاعتلي الصهواتِ وارتشفِ القبل...ْ

من 1992

طريق الشهداءْ .....

الدخولْ :-

تسألني طالَ الصمتُ
وانداحَ الوقتُ القاتلْ
فعلامَ توقفُ موكِبنا بينَ الأمواجْ ؟
و علامَ شراعُ الحزنِ يدكُّ الأبراجْ ؟
و علامَ نحيبُ الشطآنِ ؟
وعلامَ الحزنُ ؟
علامَ الموتُ !
وآهٍ ....آهٍ منْ توليفةِ جرحٍ لا يندملُ ويكبرْ ...

الانتظار :-

في القلبِ رمالْ
في الحلقِ نصالْ
في البرقِ سؤالْ
في الذهنِ شروخْ
لكنَّ العينَ دليلْ
لكنَّ العينَ دليلْ
تعرفُ كثبانَ الصحراءِ وأكبرْ
تعرفُ جلمودَ الميناءِ وأكثرْ
تعرفُ أسماءَ الأعشابِ وأصغرْ
تعرفني يومَ ولدتُ
تعرفني يومَ رحلتُ
تعرفني يومَ أعودْ
فانتظروني يومَ أعودْ
والنقطةُ
والنقطةُ تلكَ تحيِّرني /
إذْ تقفزُ فوقَ الاستفهامِ
كسولةْ
تبرقُ

تخضرّ ْ
والخوفُ يذوبْ
في وقت توهج قرص ِ الصمتِ
يذوبْ
ماذا يولد ْ؟!
يولدُ مكتوبْ....

التذكُّر :-
يصنعنا الوقتُ ونصنعهُ مثل القهوةْ
تختلفُ الأمزجةُ ويختلف التاريخْ
تشتعلُ السيجارةُ من قلبي وتنامْ
فاللغةُ مزيجْ
والحبرُ مزاجْ
والحزنُ حزامْ
والذهنُ يدقُّ على المزلاجْ .....

الانتقالْ :-
مرَّت من بين يديكْ
أحرفُ بل ليستْ كالأحرفْ
ووجوهٌ مسخٌ وكآبة ْ
مشحونةُ من قسوةِ أظرفْ
تخترقُ مساحاتِ القافلةِ المنتحبةِ سطواً
وغباراً مرتداَ حاسرْ
هولاكو يمتشقُ الراية ْ
والقدسُ تولولُ باكيةً
الآنَ ....الآنْ.
فمن يسمع ْ....

الصورةْ :-
الفارسُ ينشطرُ ويكتب ْ
آه ٍ يا ذاكَ البرعمْ
تعبتْ كفاك َمن الأحلامْ
ورصيفُ التحنان ِ توقف ْ

آهٍ من ذاكَ الفارسْ
آهٍ من وقعِ المتراسْ
ما زالَ يطولْ
والقلبُ يجولْ
والذكرى ترسمُ غربتَها مثلَ الأورامْ
وعرائسُ ذاكرتي حبلى
قد تعبتْ من وشمِ الغربةْ
لكنَّ الحاجزَ لا يرحمْ....

التحفُّز :-
يا ذاك الوجعُ تقزَّمْ
الفجرُ / الفارسُ يتأهبْ
يترقَّبْ
من ذاكَ الوجعِ نجيءْ
وتجيءُ الأحلامُ تجيءْ
ونخبئُ نعسَ الإحداقِ
ووجيبَ الأجفانِ نخبِّئْ
يا هذا العصرِ الراحلْ
ما زالَ الحلُمُ يداعبنا
ما زال الجرحُ على الجمراتْ
ما زال الوقتُ هو التوقيتْ
بيديكم ما زالَ الحسمُ
والذهنُ يحدُّ برائحتكْ
ويسنُّ بأسنانِ الرغبةْ
بالظهرِ الواقفِ والقسمِ
والنورِ الممتشقِ الصُّلبةْ
يتجلى عطر الشهداء
من قلبِ مروج الدفلى قامْ
من لحمي
وتوابلِ نيسانْ
زيتونةُ عشقٍ ومناحلْ ...

التجاوزْ :-

وسنونو أيار تهاجرْ
تنتقلُ مع الأفقِ الذاهبْ
غنّت ورقاءُ قصائدنا
همستْ لعيونِ الأطفالْ
قد كان التاريخ وكنا
مذ كانَ القاتل يتبعنا
كم كان القاتل وحشاً ...آه
يغزو البلدانَ الخضراءَ ويكذبْ
يطحنُ أحلامَ الفقراءِ
ويكذبْ
ويزوِّرُ ألوانَ القوسِ الشوكيْ
كي يكسرَ ومضَ التعويذةْ
يحتفلُ بعصرٍ وهميٍّ
ويتوجُ بالغارِ المكذوبِ جبينَ الجبناءْ
والسرُّ على ختمِ المختارْ
منقوشاً في الشيبِ الراحلْ
يعرفهُ جدي وجنيني
نحملُ بالقلب مغازلنا
نقرأ بالكفِّ ملاحمنا
ونظلُّ نسيرْ .....

الوصولْ :-

طارتْ للفجر يمامةْ
حطَّت في الليلِ قوافلهمْ
حصدوا ببرود الشيطانِ ملاكاً
نثروا أنشوطة ماردهمْ
كرهاً ودمارْ
فإذا بالموكب ينتحبُ
ودماءُ الشهداء تغني
وأنا أمشي فوق عظامي
وطريقي في قدمي يغني
غنّي

ذاكرتي ما زالت حبلى
تبلى الأيام ولا تبلى
يا هذا فاسمع موّالي
حالُ الآتينَ على حالي
أمشي من بحري من رملي
ليعودَ الزيتون الغالي
أكبرَ أكبرْ
قد كان المشوارُ كبيرا
لكنَّ طريقَ الشهداءِ تبقى الأكبرْ.....

من1985

الرهانْ على القمرِ الغائبْ .....

الرّهانْ
بين العيون ِالرامشاتْ
وَجعُ الرّهانْ
والثغرُ والرمحُ الحرامْ
والفجرُ قنديلٌ يموتْ
والعينُ عند البابِ تكتبُ لونَ بوْحٍ وعذابْ
عندَ صخرِ الليلِ والجوع ِالمُركَّب كانْ
هذا الزمانْ
وقتُ التحدي والتخبُّطِ والهوانْ
وقتُ التأقلم والترحمُّ ِوالسَّأمْ
عصرُ التَّقُنَّتِ والضياعْ
بكتِ الضفائرُ غربتي
بكتِ العصافيرُ الحسانْ
والدمعُ سالْ
بين الضلوع ِالرَّاجفاتْ
أواهُ يا حزني الحرامْ
أواهُ من طعمِ الضبابْ
يتسلَّلُ الرملُ الرمادْ
يمضي / يعودْ
ويحاورُ العمقَ السحيقْ
ثم يكبو / ثم يخبو
ثم يشتعلُ ابتهاجاً و انتصاراً
و...
يعودُ فجرُ الانتشارْ
ولربَّما كان التأخُّرُ في المجيءِ لكيْ نلملمَ جرحَنا
لكنَّ صوتَ الصخرِ لا بد يعودْ
ومساربُ التنورِ و العنقودْ
نشجُ التوُحد والصِّبا
لابدَّ أن يلجَ المدينة سيِّدا
وهناك يصلبُ عند باب الموتِ موتهْ

كيْ يشرحَ السفرَ البطيءْ.....

التأمل

آنَ الأوانْ
كيْ تعزفَ البيضُ النشيدْ
كيْ نعبرَ الدمعَ الذي هو في العروقْ
لنجففَ الآهاتْ
ونعودَ نسطعُ في الجبينْ
لابَّد أنْ تشدو البلابلُ و البذورْ
حينَ التورُّدُ في الدماءْ
حينَ التدفُّقُ في الترابْ
حينَ الوصولْ
سيعودُ لونُ الابتداءْ
حِنّاءُ يا حِنّاءْ
وِ مُخضَّباً بين الثنايا
مثلَ العرائسِ والصبايا
سيعودُ لسعُ الاحتقانْ
ليحققَّ المجدَ الرحيبْ
ليجَدِّدَ العِرْقَ الجيبْ
انّه صوتُ النمّاءِ والانتماءْ
قمرُ الديارْ
أسطورةُ الحبِّ الكبيرْ
سيعودُ يتلو من كتابِ الله آيةْ
ويكونُ عرسُ السوسنِ البري فيهْ
وشرارةُ الخلقِ الرهيبْ
ويكون بين الكفِّ سيفٌ وبلابلْ
وتصيحُ أحشاءُ اللهيبْ
ودماءُ هاتيكَ الصبايا الخالداتْ
في فجرِ يوم الانتشارْ
عاد الهوى / عاد الأملْ
وعلى ترابِ المجدِ قد سقطَ الرهانْ .....

من1987

سيعودُ المغتربْ ...

سيعودُ المغتربْ
نورساً ، حارساً ، فارساً ، سيعودْ
انّهُ الزندُ الصَّلِبْ
مثلُ عودِ الزعترِ البريَّ هُوْ
مستعداً
مستفيضاً
وَ / عذِبْ
سيعودُ المغتربْ
حاملاً قنديلَ حبٍ وغرامْ
وَ هيامْ
في يديه منجلانِ وزنادْ
سيعودْ
باسماً مثلَ الورودْ
وأميناً مثلَ قرصِ الشمسْ
يبذرُ الإنسان فوقَ الأرضِ مراتٍ كثيرةْ
ماشياً
زاحفاً
انّه الرقمُ الصَّعِبْ
في المواسمْ
سيعودُ المغتربْ
فافرشي يا هندُ باب الدارِ بالريحانْ

من 1983

زغاريدْ ملتهبةٌ .....

يا نصلَ السكينِ اعتدنا
طعناتِ الظهرِ تعوَّدنا
والغدرَ القاتلَ والغربةْ
وعرفنا اللَّوعةَ
ورضعنا
الهمَّ القاتلَ وحَملنا
خيماتِ التشتيتِ وضِعنا
سرنا في كل الأصقاعِ
قالوا: هم ماتوا واندثروا
لكنّا أبداً ما مِتنا
وبرغمِ السحقِ والقهرِ
والخنجرِ في قاعِ الظهرِ
لن ننسى الوطن و ما بعنا
فجرُ الشهداءِ سينوِّرْ
ويقاتلُ معنا ويدمِّرْ
ويزغردُ مثلَ الوالدةِ الأولى
ويغنّي موالَ الثورةْ
من عمقِ الجرحِ وعمقِ النارْ
قافلةُ الفرحةِ ستغني
ستقاتلُ ضدَّ المحتلينْ
زغرودةَ نارْ .....

من 1981

المسارْ ...

مليونُ بابٍ أُوصدتْ
مليونُ خطٍ في وجوه الواقفينْ
مليونُ متراسٍ ونارْ
فاستفيقوا واستمروا في المسارْ
انَّه النَّفقُ الطويلْ
انَّه عصرُ الجدارْ
ظهرٌ إلى الصّبارِ والبطنُ المُعارْ
لا .. لن يمرَّ مدى الحصارْ
وعلى امتداد بنادقِ الزيتونِ يولدُ ألفُ شبلٍ
وانتصارْ
أبداً يكون الارتدادْ
أبداً يكون الانكسارْ
وعلى أكفّ الفجرِ قنديلٌ عنيدْ
لا ... ليس تطفئهُ العواصفُ والحديدْ
عيناه مطلقتان نحوَ الانفجارْ
تترقبان شواطئ الأمسِ الأسيرْ
قد حانَ حدَّ الانتظارْ
زمنٌ يهبُّ إلى الصِّراعْ
نشرَ الشراعَ على امتداد البيدرينْ
ليكونَ في فمهِ البريقْ
فلنرتدي حللَ السِّباقِ المستحيلْ
هلْ أنتَ إلا ظلُّ ميلٍ لا يميلْ
قنديلُ في قلبِ الحصارْ
في قلبِ طيرٍ أو محارْ
والفجرُ مئذنةٌ تكبِّرُ في اعتدادٍ وامتدادْ
وهناك ننتظرُ المخاضْ
فاستمروا
واستديروا في المدارْ

لا لن نفرَّ ولن نساومَ في المسارْ.....

من 1981

حدُّ الانتفاءْ .....

حدُّ الغربةِ القاتلْ
يحملُ الحزنَ المقيمْ
يستمرُّ
يمتطي ظهرَ الرمالِ
فالقوافلْ
فوقَ ذاكَ الجرحِ آهْ
تحملُ الأسوارُ خطَّ الانتفاءْ
تستعيُن على القلاعِ/ على الشراعِ / على الرقاعْ
على الرماحْ
على الخناجرِ والمعاولْ
أنت جوّالٌ عنيدْ
سِرتَ من قبل الأوانْ
وارتحلتَ
نحوَ تلك الانعطافةْ
بين كفينِ وقلبْ
من على جسدِ الضحيَّةْ
يحملانِ من المتاحفِ والمعاجمْ
ألفَ ثالوثٍ وقاتلْ
والبقيَّةْ
في موسمِ المخزونِ من حزنِ الشمالْ
في ولادةْ
وقلادةْ
ونوافلْ ....

من1982

مسيرتان وفوهة في الطريق إلى الوطن....

وطني هُناكْ
وطني المحاصرُ بالجراحْ
وعلى مسافة أربعةْ
وعلى مسافة مذبحةْ
ويمدُّ كفيهِ إليَّ من بعيدْ
يرتديني من جديدْ
وطني هُناكْ
ذاك الطريقُ يمرُّ في بيارتين وفوهةْ
ويستقيمُ على الزنادْ
ويظلُّ يركضُ عند آلافِ السنابلْ
وطني هُناكْ
ذاك الطريقُ يمرُ في دميَ المراقْ
وطني هُناكْ
ونلتقي
بين الجراحِ على الدماءْ
بين التشتُّتِ و التفتُّتِ والفناءْ
ونستمرُّ
ونستمرُّ مدى العناءِ / مدى الوفاءْ
وطني هنُاكْ
وعلى الطريق تشعُّباتٌ وانحناءْ
وطني هُناكْ
قدرُ الأباةْ
ووصيةٌ نحو الولادةِ في السماءْ
نحو الكرامةِ / والرجولةِ / والبقاءْ
وطني فداكْ
وطني هُناكْ
وطني يظلُّ الفوهةْ
وطني يظلُّ القنبلةْ

ويمتطي ظهر الترُّقبِ والقلاعْ
وطني هُناكْ
بيارةٌ / أنبوبةٌ / ماسورةُ / طورُ التفتُّحِ والضَّياعْ
وننتصرْ
رغم المذابحِ والمشانقِ والرقاعْ
و الدموعْ
و الجراحْ
والضياعْ
وطني هُناكْ
من خلف ِكيسِ الرملِ لونُ الانتباهْ
قد حانَ وقتُ البذلِ حانْ
ومدى المواسمِ زهرتانِ وقنبلةُ
ونستقرُّ على الدروبِ على المماسِ على القطاعْ
وعلى امتدادِ الدورتينْ
قدرٌ يظلُ على الأحبةِ والرفاقْ
وطني هُناكْ
في امتدادٍ واعتدادْ
كوفيةُ الرجل العنيدْ
كوفيةٌ الوطنِ المجيدْ
وطريقنا المرُّ الطويلُ إلى المخاضْ
فكيف نختصرُ الطريقَ و لا نمرُّ في الرمادْ؟!
كيف تنشطرُ الموانعْ
أبغيرِ دمٍّ وزنادْ ؟!
لا يكونْ
فامددْ بكفك كي نبايعْ
وامددْ عيونكَ كي نباركْ
في البيادرِ و المواقعِ والشوارعْ
هناك نحنُ
ولن نعودَ إلى استلالٍ وابتعادْ
وغداً نحطُّ رحالنا
وغداً نعودُ إلى الوطنْ
وغداً نقيمُ نشيدَنا وصلاتنا

فامددْ ذراعكَ لن يكونَ الارتدادْ .....

من 1982

في بلادي يزرعونَ الفجرَ أخضرْ .....

يكبرُ اللونُ البهيْ
يرتقي../ يشرئبُّ إلى السماءْ
ينفلتْ .../ ينفتقْ
يمسحُ الظلمَ العنيدْ
ينشقُ العطرَ الفريدْ
ثم يمضي ...ثم يعلو
من جديدٍ فوقَ ألوانِ الشفقْ
انهُ لونُ البقاءْ.....

ليسَ كلُّ الناسِ في الدنيا عبيدْ
إنما الحدُّ الذي بين الذهابِ والبقاءِ لن يكونَ سوى الوريدْ
في بلادي يقرءونَ المجدَ ناراً وارتقاءْ
يقرءون الحقَّ صبحاً ومساءاْ
يكتبونَ بلا انقطاعْ.....

كلُّ سنبلةٍ تغني مجدَها
كلُّ نورسةٍ تجدِّلُ شعرَها
كلُّ شيءٍ مختلفْ
عندهم عرسُ الحياةِ يكونُ أشهى الأمنياتْ
عندهم عرسُ السماءْ
عندهم عرسُ التراب ْ
عندهم عرسُ التراب ْ.....

يبدأ الحرفُ الألمْ
ينحتِ اللغةَ العجيبةَ في انتباهٍ والتحامْ
إنها اللغةُ العظيمةُ ترتقي

فاكتبينا يا مخاضاتِ الولادةْ
اكتبينا بالمدادِ المنتفضْ
انهُ زمنُ احترافِ الأمنياتْ
لا يكونُ الزرعُ أشلاء فقطْ
إنما الغيثُ يكونْ.....

ترقصُ الطرقاتُ جذلى بالدخانْ
أسمرٌ زندُ الغزالْ
يقذفُ القلبَ الحجرْ
ثمَّ يبدأُ جرحهُ العالي كبيرا في العناقْ
والزغاريدَ التي عبَرَتْ إليهِ
قبلتانِ للوداعْ.....

في بلادي يزرعونَ الفجرَ أخضرْ
في بلادي يجمعونَ الشمسَ في أفقِ الحجارةْ
في بلادي يضحكُ الجرحُ العسلْ
يأخذُ الزيتونُ دربَ الانتصارْ
يعبر الجسرَ العتيقْ
إنها اللهُ أكبرْ
انه الأقصى الذي في القلبِ زهرةْ
انه العهدُ الذي في العمرِ دُرَّةْ
إنها خَطوُ عمرْ
فاقرءوا مجدَ الولادةِ في الوجوهْ.....

الأمس الجديدْ.....

في التوحُّد سنبلةُ
تعتنقْ
تبتعدْ
مثل صخراتِ الزمَّنْ
واحدةْ
باسلةْ
تشرئبُّ إلى السماءْ
في عيونٍ صاهلةْ
مثلَ خيلِ ابن الوليدْ
وصلاحُ الدينِ في أرضِ الغضبْ
في السنينِ القاحلةْ
بوصلةْ
مثلَ حبّاتِ المطرْ
بنادقُ الحدقاتِ في صيدا نمتْ
في الشقيفْ
شاملةْ
في الانتفاء دائرةْ
قبلةُ العيدِ لكمْ
هل تمرُّ الحافلةْ ؟!
والليالي مثلُ شبّاكِ الزمنْ
والمقاهي جافلةْ
ودخانُ غليونٍ ودمْ
عند مفترقِ الضفائرْ
في الخطوطِ القابلةْ
بارودةُ الدمع الحزينْ
وبيادرٌ ومواسمٌ وحقولُ نارْ
ماسورةٌ واصلةْ
في القفارْ
في التلالْ

وتقاطعٌ قبلَ الوصولْ
والخيولُ الصاهلةْ
ساعةُ الصفرِ تدورْ
في اختزانْ
والروابي رافلةْ
تكتبونْ :
بزندكمْ
بزنادكمْ
والتَّمترسُ في الهواءْ
للزنابقِ ألفُ مرحى
للأقاحي
للبنفسجِ والخنادقْ
للشوارعِ والمفارقْ
سوفَ تبدأُ عندَ غدْ / عندَ أمسْ
رقصةُ الحب العنيدِ
فاستعيدوا المرحلةْ
واستردِّوا البوصلةْ.....

من 1987

ترانيم موسمية ْ....

طرياً كنتُ
كلونِ الفجرِ
بهياً كنتُ
كثلجِ العصرْ
بعينِ الحبِّ والأحلامِ أسترسلْ
وأزرعُ في بطونِ النورِ أنغامي
وكانَ وكانْ
لديَّ الناسُ مثلَ براءةِ الأطفالْ
وكانَ الأخضرُ البريُّ عاصمتي
وكانَ البحرْ
يذيبُ الموجُ آلامي وأحزاني
وكانَ زمانْ
رمى الأشياءْ
رمى الأشلاءْ
وعادَ كشمسْ
بعينِ الطفلِ سارَ ودارْ
بلونِ الوردْ
بنشقِ العنبرِ البريّ
وهمسِ الشومرِ الأخضرْ
بطهرِ الراهبِ الأوَّلْ
يردِّدُ في سماءِ الكونِ أنشودة ْ
ويهتفُ في بقاعِ الأمسِ لا يصمتْ
يموتُ الرِّجسْ
يحيا الخيرْ
يموتُ الكفرْ
يحيا الحبّ

–

وفي يومٍ من الأيام ْ

جاءت غيمةٌ صفراءْ
رمت بالبابِ أنشوطةْ
وراحت تُسمِعُ الصَّيْحاتْ
أنا لا أكرهُ الأصفرْ
ولكن إنْ رمى بالظلمِ خاصرتي !
وحطَّمَ في يدٍ سوداءَ قنديلي ؟!
وهبَّ الموتْ
وجاءت لحظةُ اللحظاتْ
تجرُّ الظلمةَ السوداءَ في يدها
وضاعَ زمانْ

–

فأينَ السرّ !؟
وكيفَ أعودُ من بوّابةِ الغربة ؟
وكيفَ أشكّلُ الأبعادَ في رحمِ الغدِ الحاضرْ ؟
زمانٌ مرّ
يكرُّ يفرّ
تراهُ يضيعُ ؟!
تراهُ يعودْ ؟!
تراهُ يقيمُ ؟!
وصارت في بلادِ الغيرِ أسمائي مزادَ العصرْ
وصارتْ قصَّةُ الأحلامِ أرقاماً
ومجلسَ أمنْ

كرهتُ الغيمةَ الصفراءْ
كرهتُ العنبرَ الأسودْ
كرهتُ الموتْ
ولكنْ كيفَ أختصرُ الطريقَ اليومْ؟
وكيفَ يكونُ مفتاحي وشكلُ العزفِ ؟!
يكونُ الكرهُ واللا كرهْ...!
يكونُ البعثُ واللا بعثْ ؟

يكونُ الرفضُ واللا رفضْ ؟
عجيبٌ أمرُ خاصرتي
وأينَ النورُ والأنوارْ !
وكلٌّ بلادهم كفٌ تلوِّحُ لي
تباركني .....!
وتسهرُ في ملاهي الليلِ
تشربُ من نخاع العظمِ حتى الصبحْ
وعندَ الفجرْ
تقومُ إليَّ تبكيني وتندبني
وتبرقُ للبلادِ البورِ تشحذها
قصاصةَ دمعةٍ وصراخْ

عجيبٌ أمرُ خالاتي وعماتي
وأعجبُ منهُ أمرُ قبورِ أحشائي
زمانٌ مرّ
زمانُ القبرْ
جهلتُ الأمسِ كلَّ مفارقِ التعبِ
ولكني أنوءُ اليومْ
وهذا الشيبْ
يكادُ يهدُّ أسمائي

–

فماذا بعد ؟!
تراهُ يعودْ ؟
زمانٌ كانَ يطربني ويشجيني
دعوتُ اللهْ
عسى أن يسمعَ الدعواتْ
وفي الآفاقِ هذا اليومِ ترنيمةْ
ونايٌ يعزفُ الألوانْ
ويسكنني

إلى قلبي سيأخذني
ويحملني
فهاتوني إلى الشرفةْ
وغنّوني
لعلَّ الأخضرَ البريَّ قد يسطعْ
وترجعُ مع رياحِ الأمسِ أغنيتي .....

من1981

طيف الاقترابْ....

يتذكَّرونْ
ويرتِّلون الشعرَ بينَ مراكبِ البحرِ
البعيدِ
همْ ، يتماوجونْ
وبين غاباتِ العذابِ المرِّ ، هُمْ يستفتحونْ
بالأمسِ كانَ الملتقى
فرحُ الصبّا
والنورُ كانَ وكانَ لونُ الاقترابْ
وقفوا هُناكْ
ضاعوا هُناكْ
بين المرافئ والمواجع و المغيبْ
وانشقَّ في البحرِ الشراعْ
بين الثنايا عند ذاك الاقتحامْ
فهُناكَ ينبتُ كلُّ فجرْ
يتمثَّلُ الأملَ الجريحْ
ويعودُ لحناً نازفاً بين الضلوعْ
قد سار فوقَ الموجْ
بلْ
وتوسطَ الأفقَ الرحيبْ
ثمَّ عادْ
بين آهاتِ الروابي
ذابتْ رموشُ الابتداءْ
ويذوبُ في العينينِ لونُ الاخضرارْ
يتلوَّنُ الجمرُ الرمادْ
فهناكَ لونُ الخبز / والتنورِ / والإعصار
لوناً ضبابياً وأقبيةَ الغمامْ
أينَ الرحيلْ ؟
ولأيِّ عصرٍ سوف تتجهُ القوافلُ والقبائلْ ؟
تعبت خيولُ الابتداءْ

تعبت خيولُ الأنبياءْ
وترنَّحت بين الجوى والحزنِ جنباتُ الطريقْ
أين الحديثْ ؟
والفرْحُ يكتبُ كلَّ صيفٍ أغنياتْ
ذهبيةً مثلَ الشعاعْ
حنطيةً من عهدِ تدمرَ أو مضرْ
زمنُ الخيامْ
ركضت رياحُ الذكرياتْ
أواهُ من حزني الحرامْ
عمري هناك
بين الضفائرِ والجداولِ والسهوبْ
فوقَ الحزامْ
عمرٌ مضى بين المضاربِ والمدنْ
بين الخناجرِ والمحنْ
والنورُ يكتب كل عزمٍ وارتقاءْ
رغمَ المدامعِ والحصارْ
كانوا هُناكْ
زرعاً ومئذنةً ودارْ
بين الخوابي ينشدونْ
شعراً و أحلاما وغارْ
فوقَ السماءْ
كانت لهم كفُّ النماءْ
كانت تفوحُ المسكَ في أعطافِ نخلٍ
ومزادْ
والثلجُ يغسلُ قلبَ عشقٍ وانتماءْ
والنجمُ يسهرُ بينَ صيفٍ وشتاءْ
يتمرَّدُ الأمسُ القتيلْ
ويظلُّ في العينينِ رسمَ الذكرياتْ
إيزيس كانت خضرةَ الفرحِ الرَّحيبْ
يترجَّلُ الموتُ الجبانْ
والصَّلبُ والأشجارْ
ويعودُ طيفُ الاقترابْ

أواهُ من ذكرى الحبيبْ
أواهُ يا زمنَ العتابْ !.....

من1987

قصيدة السؤال ...

كانْ :-

كانَ وحيداً
يغرقُ فيه القلبُ ولا يغرقْ
ينتفضُ كطيرٍ مذبوحٍ تحتَ السكّينْ
يرتعشُ كزهرةِ لوزٍ هزَّ الريحُ مواجعَها
وهو ال....
خائفُ يبكي
والضائعُ يبكي
لا يعرفُ أين مساراتِ الأيتامْ
كيف يروحُ!
كيف يجيءْ !
فالوقتُ القاتلُ مثلَ طوابيرِ الإعدامْ
تحتفلُ بحجمِ الوحدةِ في الإعصارْ
وهناك تظلْ
هناكَ تقيمْ
يفتقدُ الأسئلةَ الكبرى
يفتقدُ الثالوثَ النافرْ
بل يغرقُ في التيهْ
آهٍ للتيهِ
آهٍ منه ..آهٍ من كانْ .....

الضحك :-

ضحكَ البؤسُ من العينينْ
وتلوّى من شدةِ ضحكهْ
وأعادَ نباحاً مسعوراً
وانطلقَ على ساحةِ وجههْ
مثلَ الأطفالِ تأوَّهْ
واحتارَ بوجهِ اللوحةْ

واحتارَ بسرِّ الألوانْ
فهناكَ سكونْ
وهناكَ حزونْ
وهناكَ الناطقُ بالجملةْ
وجعٌ في كسرِ شظايانا
أملٌ في نوحِ ضحايانا
قفزت من بينِ دموعهْ
يضرعُ لله
يصرخُ مولاه
فالكبدُ عليهِ وما قد هانْ
والقلبُ بفيهِ يتقوَّسْ
والنارُ تؤججُ جُذوتها بين الأضلاعْ
والذهنُ رهينْ
والضحكُ متينْ.....

الرسول :-

ينتظرُ المقتولُ رسولاً
ينتظرُ خلاصاً أبدياً
ينتظرُ الوقتَ ونقطةَ مفتاحِ الألغازْ
ودليلاً في صحراءِ النفسْ
ودليلاً من وقعِ التنورْ
وظلالاً من بابِ الحبسْ
هلْ أنتَ سجينْ ؟
قال المقتولْ
هل أنتَ رسولْ ؟
آهٍ يا تلكَ القضبانْ
أمسكتِ الساعةَ بالوجدانْ
وتسمَّر وعيٌ دونَ وصولْ
وانطلقَ الذهنُ إلى المرسلْ
في بطنِ الأخيلة السكينْ

فلتشرب كأس التَّهمامِ
ولتكتبْ في البؤَّسِ فصولاً
لكنْ لا تلعن في حظكْ
لو كنتَ نبياً يا ولدي لانفتح الحوتْ
لكنَّ اليومَ تعودُ الرسلُ بورقِ التوتْ
فاصبر لنقاومَ ولنصعدْ
لو كان الأملُ بعيدْ
فأنا والوطنُ وريدْ
قفزت عيناهْ
شردت لمداهْ
فهنا ناحيةُ الجدرانْ
من يشغلُ هاتيكَ الجدرانْ ؟
وهناكَ لنحو الأبوابِ
ولبين البينِ إلى الأقفال
قد أخذوا المفتاحَ رهينةْ
والمطلقُ بينهما السردابْ
آهٍ منفاهْ
مازال رسولاً عندهما بين القضبانْ....

للسؤال :-

ينتظر المسؤولُ سؤالاً !
حدِّدْ بكتابكَ ما الإنسان
علّمْ برفاقكَ ما التاريخْ
خططٌ بجراحكَ ما الأزمانْ
قال السائلْ : لا بدَّ أكونْ
جذعَ الزيتونْ
وعبيرَ الزعترِ والشومرْ
وندى الحنونْ
لا بدَّ أكونْ
فأنا حدُّ الأشياءْ
وأنا الصوتُ المفتونْ

لغتي جسرٌ لجوابْ
شعري وطنٌ لكتابْ
والوطنْ سيبقى شارتنا ما بين عيوني وعيونكْ
فاكتب شوقي الغلابْ
اصنعُ لحنَ الأحبابْ.....

من 1992

متوحداً بالفلِّ عادْ .....

عنقُ الزجاجةِ ينتبهْ
واللَّيلُ يكتبُ ألفَ لونٍ قاتمٍ القسماتْ
والوجهُ يمتشقُ الضبابْ
والحزنُ والوجعُ القديمْ
والنارُ تزأرُ في اعتدادْ
تتوقفُ اللحظاتْ
تتواردُ الأفكارْ
لكنَّما الجسد المحاصر بالجراحِ ذي يقومْ
يتفتتُ الزمنُ الغريبْ
يتجدَّدُ البعدُ الأحاديُّ الصفاتْ
ومرةً أخرى يعودْ
نَهرٌ من الابهامِ يختلسُ النظرْ
ماذا ؟ وأينَ ؟ وكيفَ ؟ أوْ
في لحظةٍ كان اليقينُ يصيرُ من جنسِ الظنونْ
والعهدُ صارَ رهينةَ الأوهامْ
تتقلَّبُ الآراءْ
وتراوحُ الأشجانُ قلبَ الخارطةْ
نفقُ المدينة عادَ يظهرُ من جديدْ
ألغربةٍ أُخرى نعودْ ؟!
وننتظرْ
عنقُ الزجاجة يستطيلْ
والقمقمُ المحشوُّ يُقذفُ للبحارْ
والموجُ يَحملُ للبعيدْ
والخوفُ والآمالْ
والشوكُ والألغامُ صارت جسرَ همٍ واغترابْ
وهناك أقدارُ السيوفِ حجارةً عند الحدودْ
لونٌ جديدْ
طعمٌ جديدْ
طعمٌ غريبٌ صار للأشياءْ
أيوبُ غابْ

زمنُ الحصارْ
والجوعُ يمتشقُ السلاحْ
والموتُ قارعةُ الطريقْ
والدمعُ مثلَ الرملِ في بحرِ الدماءْ
والشارعُ المذبوحُ يذرعهُ الغرابْ
وأظافرُ التنينِ والأنيابْ
وفجأةً
عنقُ الزجاجةِ في الهدفْ
كانت هناك مواسمُ الأملِ الرحيبْ
كانت هناك سنابلٌ خضراءْ
كان التوهُّج والبذارْ
كان النهارُ مسيرَ خطواتٍ ... وكانْ
أين المفرّ ؟!
والموعدُ المضروبُ حانْ ...!
والعمرُ صارَ المنعطفْ
تتكَّسرُ الرغباتْ
وتعودُ أصواتُ الكنارِ مغردةْ
واللونُ يصبحُ زهرَ أحلامِ الصغارْ
والريحُ تبدأ عدَّها العكسيّْ
وهناك ... |
عنقُ الزجاجة ينكسرْ
كي تخرجَ الباقاتُ في أبهى الحللْ
الياسمينُ العذبُ والعشقُ الغريبْ
تلك الخيولْ
ويكونَ ميلادٌ جديدْ
ويكونَ فجرٌ واضحُ النبراتْ
ويقومَ من بوابة الأرض الشهيدْ
ويجيءَ زهرُ الأقحوان
ليمرَّ عبرَ أصابعِ الحبِّ الكبيرْ
متوحداً بالفلِّ والريحانْ
متكللاً بالغار يبدأ رحلة التجذير والتعميرْ ...

من1988

هوامش على تغريبة ِالقمر ِالعائدْ.....

فارَ التنّورْ
وارتفعتْ شمسُ الدَّم ِعلى جسدِ العصفورْ
وارتعشَ الغضبُ على الشفتينْ
وانطلقتْ عينُ الغضبِ من المقهورْ
واندفعَ الرمحْ
والسيفُ الماردُ والإعصار
وانكسرَ القيدْ
وانفتحَ القمقمْ
فار التنورْ ....

والواقفُ يحملُ بين يديهِ الأرضْ
ينفثُ في العرق ِ لهيبَ الجمرْ
ويخزِّنُ في الوعي ِ الألوانْ
ويسطِّرُ ملحمة َالعودة ْ
يطلق إنذارا يشتعلُ
يقتلعُ ضجيج َالعرباتِ ويمضي
ينثرُ زهراً
يكتبُ فخراً
يصنعُ فجراً
يقرأُ حجراً
زمنٌ ينشطرُ إلى لونينْ ...

فار التنورْ
وشراعُ الرغبة ِ مشعلُنا
والغضبُ الخالدُ يحملنا
فوقَ التوقيت ِ يسيرُ بنا
والأخضرُ فوق جبين ِ الشهداء يُغرّدْ
ويدوِّي
لضفائر ِ موكبنا الحبلى

لصبايا قريتنا الزَّهرات ِالنارية ْ
والشارعُ يعزفُ أنشودة ْ
يصنع سوناتا الأمجادِ
حجرٌ / حجرٌ / حجرٌ / حجرْ
وإطارٌ يشتعلُ حنيناً
يتوقَّفُ بدخان ٍعائدْ
يمسحُ جبهتنا من ظعن ِالرغبة ِ مرّة ْ
ويضمُّ بكفيه ِالجرحَ المنثورْ
يا طفلاً لا يصغرُ أبداً
يقرأ قرءاناً ويصلي
ينطلقُ لهيباً في اللهبِ
ويلفُّ على كتفيهِ الأسودَ والأبيضْ
يشربُ قنبلةَ الغاز ِ
وبصدر ٍ مكشوف ٍ أعزلْ
يصرعُ وجهَ المحتلينْ
يبتلعُ رصاصاتِ البربرْ/ ....ويغني
أملاً في العشِّ المسروق ِ يغني
بين الساحات المهدورة ْ
يصدحُ / يصدحْ
ألومنيومْ في العظم المشطورْ
والدمدمُ يسبحُ في الزهرة ْ
والحجرُ العاشقُ والمعشوقْ
لغةٌ تنصهرُ تماما ٍ
لتصيرَ عناوين الأمجادْ
ويصيرَ الباقي في التاريخ قشوراً

فار التنورْ
والوجهُ الآخرُ لحنُ وفاءْ
اللونُ الغالي / يشبهُ ذاكرةً فينا
يخلقُ في الذهن أمانينا
ويعودُ / يعودْ
فار التنورْ

ينكسرُ الرمحُ التتريُّ
وتعودُ إلى العرقِ دماؤهْ
ماذا ندعو ؟
تغريبةَ قمرِ الصحراءِ نسمّي
ويظلُّ الأخضرُ في المنفى الأخضرْ
ويظلُّ الفرحُ قبابَ النورْ
لخريطةِ عزمٍ يتجدَّدْ
تصنعها أجراسُ العودةْ
ملَّ النوّارُ من الرحلةْ
وانتفضَ يجرِّدُ سيفَ النجمِ

ويغني
للأرضِ الحبلى سيغنّي
للأرضِ التاريخِ يغنّي
لبطولةِ لحمٍ في الرابعةِ يغنّي
للصدرِ الأعزلِ سيغنّي
للمجدِ الحجرِ المنتفضِ يغنّي.....

من1989

الوصول رقم (1).....

أينَ تبتدأُ القصائدُ نفسَها ؟
أينَ يكتملُ المخاضْ ؟
أينَ ينشطرُ الضياعْ ؟
أينَ ينكسرُ الهواءْ ؟
أينَ تبتدأُ الحدودْ ؟
والمفارقُ .. والسهولُ والجداولُ ..؟!
والزوارقْ...؟

أين نفتحُ قفلَ بابِ الاحجياتِ ؟
أين تنطلقُ الفراشاتُ العجيبة ؟
أين نعلنُ فصلَ خاتمةِ الرواية ؟
أين نشعلُ بيرقاً يحكي الحكاية ...؟
أين ننشدُ لحنَ زيتونٍ وعشقٍ ومسارْ ....؟
أين يندثرُ النحيبْ؟
أين ينتفضُ الحبيبْ ...؟
وأين نبتدأُ الوصولْ ....!

ثم كيفَ ..!؟
في خيوطِ الفجرِ نسكنْ؟
/ نخترعْ
أيقونةَ الفرحِ العجيبْ
كيف نكتبُ فوقَ سفرِ الماءِ فصلاً من شموعْ؟
كيف نجعلُ زهرةَ المجدِ توابلْ..
كيف ننظمُ عقدَ أحلامِ الأوائلْ ،
كيف نعزفُ لحنَ عودةِ جزئنا
كيف نسحبُ ما تبقى من غمامٍ وحمائمْ..!!!!!!

أننتظرْ ...
/ أم نستمرْ

أم نندثرْ...!!!
نلتقي فوقَ الهواجسِ والمخاوفِ كلنُّا
نحتمي خلفَ التردُّدِ والشكوكِ
وننحني بجزئنا
نستردُ نصفَنا كي نواجَه كلُّنا
أم نواجهْ..؟

هل هوَ الوقتُ / الشرانقْ ؟
ليسَ نحصدُ في الفناءِ سوى ضجيجِ الأسئلةْ
ليسَ ينفتحُ المكانْ
ليسَ يتضحُ الطريقْ
ليسَ نفتضحُ القمرْ
ليسَ يندفعُ النظرْ
اركبوا زمنَ الخطرْ
واستمروا / استمروا واقفينَ كالشجرْ....

راحلٌ أو راحلانْ
عائدٌ أو عائدانْ
بلدةٌ تغفو على وقعِ السنابكِ والخطى
هل ستصحو في يديها جزءُ وردةْ ؟
جزءُ قبلة ..!
ثم يكتبُ شاهدُ الرحلة / الرواية
والحقيقة..
في اتجاهٍ واحدٍ تبقى الحقيقة

انه لغز الفرائدْ
شاهدوا الفصلَ العجيبْ
اسألوهُ قد يجيبْ
إنما في كلِّ حالٍ صارَ جزءٌ منهُ عائدْ.....

من 1995

الحبر الفلسطيني...

للحبرِ فصولٌ
للحبرِ مناخٌ ومواسمْ
للحبرِ تضاريسٌ مرَّهْ
وفواصلُ أخرى
ونقوشْ
أمسكَ قلماً
وخزَ الوجدانَ المثقلْ
واخترقَ مخاضَ الوهمْ
فانشطرَ الصمتْ
واندفعَ الوقتْ
وانبعثَ لنا في الوهجِ ولادةٌ
مثقالٌ من تبرٍ وترابْ
كيما يعترفُ القاتلُ بالمذبوحْ
واعترفَ القاتلْ
وانبعثت من فوقِ المسرح
كثبانٌ سبعةٌ
لتسدَّ طريقَ الجسرِ أماماً لكنْ
نقطعُها
سنبلةُ الكوفيَّةِ السمراءْ
قد أصبحَ بعدَ الحبرِ لنا في العالمِ شبرٌ من رملٍ وهواءْ
واكتشفَ العالمُ فجأةْ
رئةٌ منسيَّةٌ
ثمنُ الإبصارْ
في عرسِ الوردةِ والسيفْ
كيفَ يكونْ ؟
بل كيفَ يكونُ الوشمْ ؟
قربانٌ للزمنِ القادمْ
زمنٌ للوعدْ
زمنٌ للعهدْ

زمنٌ للحبرْ
ويصيرُ الحبرُ على التاريخ محطَّةْ
بقلمِ العجزْ
نستخدمُ حبراً نكرهُ أن يكتبنا لكنْ سنسيرْ
ما قبلَ الحبرْ
ما بعدَ الحبرْ.....
يحترقُ لهيبُ الذكرى
تنفجرُ خيوطُ الرؤيا
ماذا نفعل!
ماذا نفعلْ ؟
نحتربُ ونقتلُ أنفسنا !
ننشطرُ ونذبحُ نورَسنا !
أم نقفُ لنسألَ ماذا نسأل!
هل ينتظرُ الغولُ لنسألْ؟
لنجمِّعَ أجوبةَ الجمهورْ
هل ينتظرُ الميناءُ الراحلُ أبداً أن نتريَّثَ كيما نسألْ!
ماذا نفعلْ؟
نجلسُ في وجهِ الريح نصفّقْ
نخترعُ بكائياتٍ أخرى
نفترقُ على أوَّلِ مفرقْ
ماذا نفعلْ؟
أنصدِّق منْ قالَ تأخرْ؟
أنصدِّقُ منْ قالَ تبدَّرْ؟
أم نجلسُ في قرصِ الشمسِ الدائرْ
ونصدِّقُ أن الشعرَ جيوشٌ تزحفْ
هذا جسري
لم أقفلهُ بوجه الزاحفِ منهمْ يوماً
أم نسيَ العلقمُ طعمَ فمي ؟
وصاحَ تذكَّرْ
ماذا نفعلْ؟.
ماذا لو نجمعُ أجنحةً وقوائمْ
ونعدُّ إلى المحراثِ حصانا لا يتعبْ

ونسيِّجُ بيتَ التنورْ
ونكلّلُ بالعرقِ المعولْ
ونشكّلُ لوحةَ حبٍّ
/فيها ألوانُ الفرحِ الورديةْ
وتكونُ لنا ،
ويكونُ لنا فيها الاسمُ
ويكونُ لنا فيها الرسمُ
ونكونُ لها
وتكونُ لنا
هذا موسمُ للحلمِ
فلماذا لا نحلمْ؟!
ولماذا كنّا نمتلئ ضجيجا ونراهنْ
ولماذا نتحدّى أمسِ العالمْ
فلنفعلْ شيئاً منذ اليومَ وحتماً
لتكونَ لنا أيدٍ تفعلْ للمرة الأولى
ليكونَ لنا طائرُ أزرقْ
ليكونَ لنا مع موجِ الشطآنِ زورقْ
ليكونَ لنا البيدرْ
واحةَ عشقٍ أكبرْ
من قالَ فلسطينُ ستصغرْ؟!
من قالَ تذوبْ
من قالَ تبدّلُ أبوابَ المدنِ وتذبلْ
من قالَ تموتْ
وهناكَ بنو كنعانْ
وهناكَ اللغةُ الأنبلْ
وهناكَ المجدُ تكلّلْ
بالنبضِ الواحدِ والساعدْ
ستظلُّ فلسطينُ الأكبر.....

نزرعُ غزَّة

نبني الضفةْ
فتصيرُ إلينا يافا مثلَ سنابلِها أقربْ
وتعودُ الأسوارُ لعكّا
والمجدلُ يمسي الأجمل
نخترقُ تراباً حنَّ لمحراثِ الأجدادْ
للوشمِ الأولْ
ننقشهُ أحلاما
نحضنهُ أعواما
نفرشهُ ثقةً لا تنضبْ
ونسيرُ ،
كسنابلِ نيْسانَ وأيارْ
نخترعُ الفجرْ
ونزيِّنه مثلَ عرائسِ بلدتنا
نحميهِ من الطوفانْ
نطلقُه في الآفاق مع الفينيقِ
ونكبرْ
رقماً أصعبْ
قمراً في بابِ الدارْ
لا نجلسُ فوقَ أيادينا
بلْ نُشعِلُ قنديلَ العودةْ
بالدمْ،
نبلٌ فتائلُهُ يوماً يوما
وتصيرُ الأشرعة قلادةْ
فيزهِّرُ نُوَّارُ اللوزِ
ويغرِّدُ شومرُنا الأخضر
ليواعدَ حيفا بستاناً بستانا
نتوحَّدْ
لطريقِ القدسِ
صفاً صفا
ننطلقُ كأسرابِ النورسْ
ونقولُ أتينا لمْ نيأسْ
فدوى /سلماً / زحفاً / مشياً ، لم نيأسْ

فهناكَ مفاتيحُ الأزمانْ
نحملُها وندقُّ الأجراس
أجراسُ العودةِ والبعثِ
ويكونُ الحبرُ فلسطيني.....
من1993

أيها الصبار لا.....

الإهداء....
إلى إبراهيم الحدايدة ومحمود جميلْ
إلى الوطن المؤجَّل من شبابيك نابلس وطولكرم
إلى كل فلسطينيْ .....

***

السنونو قد تهاجرْ
والنوارسُ معْ عُبابِ البحرِ تمضي
واللقالقُ لا تغادرْ
بينما تلكَ العصافيرُ تودِّعُ ريشَها
والحمائمُ في انتباهْ
مالكٌ يبقى الحزينْ
"الدويريُّ " تأهَّبَ منذُ دهرٍ للسفرْ
والقطاةُ قد تظلّْ
إنها جزءُ الحكايةْ
والتفاصيلُ كثيرةْ
والشواهدُ والمشاهدْ
هل يغيِّرُها القدرْ
هل يبلِّلُها المطرْ ....؟!.
ليسَ في اللوحاتِ لونٌ لا يسافرْ
ليسَ في الغيماتِ شرطيٌّ معابرْ
ليسَ في البحرِ خلايا لمْ تخاطرْ
والسحابُ
والسرابُ
والعتابْ
ليس يحملُ جُنَّةَ السفرِ ويرفضُ أن يعودْ
لكنَّما وجعُ المحطةِ كيف يغدو قاتلاً
كيف ننتظرُ الرصيفَ بلا رصيفْ ؟
كيف ننتظرُ البلابلَ كلَّ هذا الوقتِ ثمَّ لا تجيءْ ؟

نفتحُ الشرفاتِ آهْ.....
نغلقُ السردابَ والدهليزَ قدْ
ننثرُ الصبرَ على جمرِ الوقوفْ
ثم يصدمُنا المسافرْ.....حينما
ليسَ ما تأتي السنونو
ليسَ ما تأتي النوارسُ
ليسَ ما تأتي البلابلُ والكناري
إنَّما الموتُ يجيءْ
انهُ الموتُ يجيءْ
ليس ما يأتي سواهُ
انه رمقُ الجنونْ
والظنونُ
والسؤالُ
كيفَ ننقشُ فوقَ خيطِ الماءِ عشاً ثم تذروهُ الرياحْ
كيفَ نزرعُ درَبنا بالنورِ ثم يقتلُنا الظلامْ ؟
انه عبثُ الرمادْ
جللَّ القلبُ السوادَ
أيها الصبارُ قفْ
ما نريدْ؟
ما نجيدْ؟
ربما هي رحلةٌ أخرى ويأتي من جديدْ
ربما هذا شبيهٌ قد تقَّمصَ وجهَهُ
كم سنسألْ ربما ؟
ربما عبثُ القوافلْ
ربما الخطأُ الوحيدْ
كلُّ ذلكَ قد أصابَ مساحةَ القلبِ ودمَّرْ
قد أصيبتْ رْعشةُ الشوقِ التليدْ
أليسَ ذا الفينيقُ قامْ؟
أم هو الموتُ الوحيدْ /
هل تعودُ الاحجياتُ
هل تعودُ الأمنياتُ
هل تضيعُ ملامحُ الميناءِ حتى في الوصولْ !

هل يلاحقُنا الضياعْ؟
هل نضيعُ من جديدٍ ؟
انه الخطأُ الوحيدْ
انه هوسُ العبيدْ
انه الحظُّ العنيدْ
مرةً أخرى تهددُّنا الشكوكْ
لم نعد نقوى ولا عُدنا نطيقْ
لكننا حتماً نقاومْ
قد تعوَّدنا القيامَ من الرمادْ
إننا حتما نقاومْ
إننا حتما نقومْ
مثلما الفينيقُ يأتي
حان موعدُه سيأتي
والتفاصيلُ كثيرةْ
والعلاماتُ على كَتِفِ الطريقِ
والمشاهدُ قد تفسِّرُ نفسَها
فالمشاهدُ لا تموتْ
مشهدٌ يمضي وآخرُ لم يزلْ
حولَ ذاكَ المنعطفْ
أقحوانة /
تمتطي ظهر الرمالِ
وتنتشي ....تجتمعْ
تتوهجْ / تتكثفْ / تندفعْ
ثم تمضي لم تقفْ
انه التاريخُ يمشي
وقعَ خطواتِ الزمنْ
ليسَ تلغيها المرايا
تخترقْ
تحترقْ
ثم يخضرُّ الرمادُ وعلى محياها سيشدو
نرتقي للأزلْ
وتشرأب من جديدْ

ينحني السفرُ البعيدْ
يرتخي بابُ الحديدْ
في يديها لوحةُ العنوانِ تلكَ
في يديها لم تزلْ
تدمغ الطرقاتِ وشماً بالقبلْ
والنسيجُ في يديها مختلفْ
تبذلُ المسكَ المعطَّرَ في صفاءٍ وجذلْ
انه حلمُ الوصولْ
تستعينُ على المواقفِ كلُّ جزءٍ فيه عشقٌ وحنينٌ وَقسَمْ
في الوريقاتِ الصغيرةِ
في البذورِ
في البراعمْ
لم تزلْ تلك المعالمْ
لوحة السفرِ العظيمْ
كيف تخذلُها المتاحفْ ؟؟

ربما تنسى القوافلُ حين تأتي
ربما تنسى التعبْ
ربما تنسى المواجعَ والجراحْ
واحتمالاتِ الحقب
والسراديبَ العجيبةْ
والضياعَ
ربما تنسى القرابينَ القديمةْ
ربما تنسى الجسورْ
ربما تنسى التوالدَ والتتاليَ والضرائبَ والتَّبعثرَ والنسبْ
ربما تنسى العجبْ
واعجبْ !
ذكِّروها مرتينْ
علَّ ذاكرةَ المسيرة ِفي سباتٍ عندها
إنها كانت صبيةْ

إنها كانت فتيةْ
والمحطاتُ الحزينةْ
قطَّعتنا في أحايينَ كثيرةْ
إنما كانت أمينةْ؟
لم تمزِّقْ ساحةَ التسجيلِ فينا
ربما قد حاولت تزييفَها
ربما كانت لديها كلَّ يومٍ تشرقُ الشمسُ رواية
ذكّروها
لم يكن فرعونُ يسطو كي يُذلَّ القافلةْ
لم يكن يرجو أسارى
إنما كان يريدُ البحرَ وحشاً يبتلعْ
إنما كان يريدُ الرملَ سطحاً مُنزَلَقْ
كان يرغبُ أن تروحَ فلا تجيءْ
إنما كانت تعودُ إليه من شُّباكها في كلِّ مرةْ
أين تلك الذاكرةْ ؟؟؟؟
زمِّلوها
قد تعودُ من التلبُّد والمواتْ
وارفقوا بالحلمِ حتى لا يضيعْ
فالصناديقُ كثيرة
والغنائمُ لم تكن قصدَ الروايةْ
إنما تلك الحكايةُ مثلما الراوي وحيدةْ
والستارُ
مشهدٌ يبقى وينسدلُ الستارْ
بعد ذلك لا يعودُ مساحةً للاختيارْ
حينما تأتى القوافلُ
هل يجوزُ الاندحارْ ؟
انقضى زمنُ السؤالْ
انقضى زمنُ العجائبْ
غير مسموح بها
والجريمةُ أن نموتَ
حينما الحفلُ تأهبَ للقيامْ
أنرتقي نحن لنعتذرَ ونشرعُ في اختتامْ ؟

كيف نسمحُ بانحرافٍ في المسار ْ؟
كيف نسمحُ بعدها أن ُنختزل ْ؟
وكيف يمكنُ للزهورِ الانتحار ْ؟
كيف يمكن للقرنفل أن يدك الياسمين ؟
كيف يمكنُ للزنابقِ أن تحاربَ طلعةَ المنثورِ كيفْ 1
كيفَ نغتالُ الفرحْ ؟
كيف يَعتقلُ البنفسجُ ضُمّةَ الريحانِ
والفلُّ يمسي نائبَ السجّانِ
والموتُ يقتلعُ النهارْ؟

موسمٌ للموتِ لا
مدخلٌ للعوسجِ البريِّ لا
مدخلٌ للشوكِ لا
مثلما لا للحصارْ
لن تمرَّ على الجدارْ
فانشطرْ
واندثرْ
لا مجالَ للاختيارْ
مثلما لا للخطايا والصَّغار ْ
إنها اللغةُ الوحيدةُ تُختَصَر ْ
أيها الصبّارُ لا.
مساحةُ الصدرِ كبيرةْ
ساحةُ الغفرانِ أكبرْ
اعزفوا لحناً حزيناً
انثروا الشعرَ على بابِ المدينةِ
ضمدوا وجعَ الترابِ
فالجراحُ لن تسودَ
ليس مسموحاً على بابِ الوصولِ الانكفاءُ
ليس مسموحاً على بابِ المدائنِ أن ننامَ
ليس مسموحاً لغاباتِ الأقاحي الانشطارْ
ليس مسموحاً لعبسٍ أن تجددَ بيعةَ الثأرِ الحرامْ

ليس مسموحاً لغابات ِالشرانق ِأن يغطّيَها الدخان ْ
نخلعُ الجمرَ الذي يستوقد ُالقلبَ وننهض ْ
أيها الجرح ُ تقزّم ْ
أيها الوجعُ تقزّم ْ
نجلد الذاتَ ولكن حينما ثمنُ الخطايا أن تموت َالأمنياتُ
لن نعودَ محايدينْ
فانتبه ْ
أيها الفينيق قم ْ
ما نسيناكَ كما تنسى القوافلُ طيرَها
إنما عذراً إليكَ ..
قد أضلتنا المواكب ُ
خدرتنا زينة ٌ في المهرجان ِ
قد ظنناها الوصول َ
بينما الأحلامُ ظمئي في المحاجر ِ والمهاجر ِ لم تزل ْ
عطشى وحبلى لم تزلْ
مثلما أن الحقيقة لم تزل ْ
بكراً وتُغويها القبل ْ
ليس تكتُبها أصابعُ مستعارةْ
ليس يبذرُها التمني والخيالْ
ليس يرويها الكلام ْ
ليس ُينبِتُها الركام ْ
إنما العزمُ يقودُ إلى المُحال ْ
علمتنا الأنبياء ُ
إننا لابد ندخل ُأنْ صدقنا موعداً لا بدَّ آت ْ
فالحطام ُلا يقوم صدفة ٌ
لا يقومُ صدفة ً هذا الحطام ْ
ليس يزدهرُ بسيمفونية ٍعرشُ الغرام ْ
ليس يُزهرُ بالوعود ْ
ليس يشرقُ بالنشيد ْ
ليس ينهضُ فوق َ أعذار ٍ ووَهْم ْ
ليس باللغةِ تعودُ الغائبات ْ
ليس باللغةِ فقط ْ

إنما الفجرُ يُسَوّرُ بالزنودْ
بالسواعدِ والقلوبْ
عندها الفجرُ يعودْ
وتعودُ الذاكرةْ
عندها تأتي النوارسُ في عُباب الأقحوانْ
عندها تأتي البلابلُ مثلَ جيشِ الياسمينْ
تمتطي كبدَ السماءْ
عندها تشدو العصافيرُ الفرائدْ
عندها يجلو السوادْ
والشبابيكُ على أعتابها تغدو المراحلُ والطقوسُ كوهجِ عيدْ
والمداخلُ تبتهجْ
والحمائمُ تنسجُ الشرفاتِ
حيثُ تبدأُ ضحكةُ الوطنِ المؤجَّلِ من جديدْ
يصبحُ الشعرُ شموساً من حقائقْ
يصبحُ الأفقُ بهياً بجيوشٍ من قصائدَ وعرائسْ
يصبحُ الوطنُ نعمْ
حيث يغدو الموتُ لا..
حينما المجدُ طويلاً سوفَ يجثو عندَ أعتابِ المدينةِ
يقرعُ الباب َويرجو طالباً إذنَ الدخولْ.....

من 1996

البحرُ يرحل ....

إلى الشهيد القائد خليل الوزير "أبو جهاد "
1988/4/18

" الوحدة هي السلاح الأقوى دائما لمواجهة كافة التحديات والمخاطر ، نلملم جراحنا ونمضي أصلب من ذي قبل والمعركة متواصلة حتى النصر العظيم "
أبو جهاد

***

البحرُ يرحلْ ..
والموجُ و الشطآنْ
والنورسُ المذبوحُ عند البابْ
والصوتُ والألوانْ
متعمداً بالفجرِ في ليلِ السرابْ
متواصلاً بالمجدِ والإكليلْ
مترجلاً عند الوصولْ
البحرُ يرحلْ....
والليلُ والصوتُ الرهيبْ
والخلقُ والإفناءْ
والموتُ والحزنُ الحرامْ
والعشقُ والحبُّ الغريبْ
والرمشُ ذابْ،
البحرُ يرحلْ.....

-

والشمسُ تحجبُ ظلَّها
والأرض تركضُ في السباقْ
والنارُ في المحرابْ
والوجدُ في الأشلاءْ
البحرُ يرحلْ.....

-

يترَّجلُ الفرسانُ عن ظهرِ الرمالْ

يترَّجلِ الموتُ الجبانْ
والبحرُ يرحلْ
عندَ التقاطُعِ يختفي
وينتظرْ ،
لتمرَّ قافلةُ الجيادِ المسرعةْ
لتمرَّ تلكَ الأشرعةْ
ليمرَّ سيفٌ لمْ يكنْ في غمدهِ
ليمرَّ قنديلُ الأمومةِ في الموانئ والحدودْ
البحرُ يرحلْ.....
-
والقلبُ عادَ ليشتعلْ
والظفرُ يمسكُ خارطةْ
والأخضرُ المنثورُ في كف الزمنْ
يتفجَّرُ البعدُ الكريهْ
وتلتوي الساعاتُ في وقتِ السفرْ
البحرُ... آه....
أواهُ يا قرطاجْ ،
أواهُ يا شطَّ العربْ
أواهُ يا بوابةَ المنفىْ
البحرُ يرحلْ.....
–
يتدَّفقِ الجسدُ المباحْ
واللّونُ يكتبُ عندهُ
تتحَّولِ الأزمانْ
والدمعُ يصبحُ في المساءِ قصائداً
وقلائداً
وقوافلُ الأسماءْ
تتكلمُ الأشلاءْ
والعدُّ يبدأُ من عيونِ الأنبياءْ
وتعودُ للوجهِ الحدودْ
وتصيرُ في القاموسِ قنديلَ السفرْ/
جاءَ الصليبْ

لكن جلجلةَ المسيحِ تكونُ قبلَ الارتحالْ
وتكونُ ساعاتُ التَّفرُّدِ
عندها / تتقطعُ الأوتارْ
وتعودُ أبياتُ الحنينْ
والعظمُ يصنعُ غصنَ زيتونٍ وجمرْ
واللحمُ يصبحُ خبزَ عشّاقٍ وخمرْ
والروحُ تنشدُ من جديدْ
وتموتُ أسوارُ الحديدْ
ويقومُ لونُ الانتماءْ
البحرُ يرحلْ؟....

فجأةً ،/ تتحولُ الكلماتْ
وتقومُ كوفياتْ
وتحلقُ الأمواجْ
مثلَ السنونو سوفَ نفترشُ الفضاءْ
في لحظةٍ كان الشراعُ يعودْ
ما عادَ يصبرُ أن يحنَّ عليه صبّارُ الحدودْ
ألقى ببوصلةِ الرياحْ
ورمى المجاديفَ العتيقةَ من سماهْ
سيكونُ عند الثانية ،
ما اعتادَ تأجيلَ المواعيدُ الكبيرةْ
ستطير أصدافٌ وكثبانٌ وحورْ
ستسابق اللحظاتْ
فاليومَ ما عادتْ هناكَ محرَّماتْ
والاختصارُ يصيرُ فنّاً ممكنا
البحرُ عادْ
أمواجهُ عادتْ برغمِ الأشقياء
وترابهُ المغدورُ أمسى قافلةْ
بوركتِ يا تلكَ السُّفنْ
ستصيرُ أيامُ التعبُّدِ أحجيةْ
ويكونُ كلُّ العوسج البريُّ زهرا منتفضْ
ستعود ألوان الربى

والخضرةُ الأولى تعودْ
ثمَّ تصبح معجزةْ
ثمَّ تشتدُّ انطلاقا في الوتينْ
أواهُ يا قرطاجْ
لو أنَّ كفيكِ المضرجتين تنتفضُ الغداةْ
لو أن إكليل الزهورِ يصيرُ أقداراً
أوّاهُ يا شطَّ العربْ
أواهُ يا موتَ العربْ .....

السيرة الذاتية للكاتب أيمن اللبدي



- من مواليد طولكرم العام 1962 فلسطين
- بكالوريوس علوم جامعة بيرزيت العام1985
- عمل في حقول التعليم والصحافة والتسويق
- له قصائد ومقالات ودراسات أدبية منوعة منذ العام 1978
- لة مساهمات في عدد من الأمسيات الأدبية والمواقع على الشبكة
- حائز على جائزة درع القصيدة العمودية من أسبوع فلسطين –سوق عكاظ /جامعة بيرزيت
- له عدد من عدد من المجموعات الشعرية نشر الأول منها عام 1980

الموقع الإلكتروني: http://www.allabadi.com